الصابون والتعليم

سلاح الغرب لحرب الإسلام

BARAAH CENTER

مركز براءة للبحوث والرد على الشبهات

الصابون والتعليم

سلاح الغرب لحرب الإسلام



مركز براءة للبحوث والرد على الشبهات

مركز براءة للبحوث والرد على الشبهات

الصابون والتعليم

سلاح الغرب لحرب الإسلام







مقدمة المركز

في خضم هذه الظرفية العالمية، والتي أضحى فيها المسلمون أمة غثاء، تجري وراء كل سراب تحسبه ماء، وتتسربل بكل رث تستتر به عورتها، بعد أن نجح الغرب في تعريتها من درعها وسيفها، وزرع في قلب أبنائها عقيدة العار، وحملهم خطيئة أبدية زعم أنهم ورثوها من تراث الأمة، من دينها ومن علمائها ومن كتبها.

وبعد أن صار هذا حالها، وقف العلج الصليبي على رأسها شاهرا سيفا بيمينه، وأنجيلا يبشر بعلمانية ديمقراطية بشماله، وزعم أنه يحمل بشيرا بالخلاص الأبدي، أن تصلبوا على جدران التاريخ، وأن تتعمدوا في بركة الرأسمالية، تم تصيروا مسخا بين الأمة، وسنقدمكم قربانا لسلام العالم.

هذا التوصيف الأدبي لهذا الواقع الأكثر قتامة، والذي لا نملك أمامه نحن الضعفاء القعدة إلا الدعاء، والنفخ في نار "صراعات الحضارات" علها تشتعل لتوقظ أمة من سباتها بعد أن تسطلي بنار الأعداء.

هذا الكتيب صرخة أخرى من صرخات أبناء هذه الأمة، في وجه الغافلين من أبنائها، ممن فتنه الغرب الديمقراطي، ولبس عليه سحرة العلمانية دينه، هذه صرخة من نذير يرشد إلى نهاية الطريق، أن لا تتبعوا السبل فتفرق بكم، بل اتبعوا سراط العزيز الحميد، وأن ليس هناك إلا فسطاطان، فسطاط إيمان لا كفر فيه، وفسطاط كفر لا إيمان فيه، فاختر لنفسك!!.

مركز براءة للبحوث والرد على الشبهات

لا "آدم سميث" ولا "توماس جيفرسون" سيفي بالاحتياجات النفسية والعاطفية والأخلاقية للمهاجرين الجدد إلى المدينة، أو للجيل الأول من خريجي المدارس الثانوية، ولا " المسيح " قد يفي بها وإن كانت فرصته أكبر ... على المدى الطويل " محمد " سينتصر.

صاميول هينتجتون

سيبقى التاريخ يمجد الصيادين، ما لم يتعلم الأسود الكتابة.

مثل أفريقي

أن التاريخ يُعيد ترتيب أوراقه، وأن (المركزية) بدأت تتزحزح شيئاً فشيئاً عن بلاد الثلج اشتياقاً لدفء الشمس في الشرق الأوسط.

على فريد

تحدثنا في سلسلة سابقة بعنوان **"الديمقراطية.. ملة التناقضات المقدسة"** منشورة على الصفحة الرسمية لمركز براءة، عن الخلل الكبير الذي يسيطر على أركان المذهب الديمقراطي، ووضحنا أن هذا الخلل ينبع من الديمقراطية نفسها، ومن تناقضاتها الذاتية التي دفعت أبناء الحضارة الغربية أن يتحدثوا عن الفوضى العارمة التي قد تنتج عنها، والتي نرى بوادرها الآن في واقعنا الحالي.. والتي حذر منها كل مفكر موضوعي.

إن الغرب لو مات، لسره أن يقرأ نعي وفاته، ذلك النعي الذي سيملأ صفحات ضخمة، ولم يكتب مثله قط، ولن يجد غربي عذرًا ليحتج بأن أحدًا لم يحذره .. هذا ما قاله كيثنيث وينتروت، وهذا ما يقوله كل مفكر يدرك تمامًا أن تنبؤات المفكرين الصادمة والمحزنة كانت دقيقة وصادقة، فتفكك الأسرة، والموجات الهائلة للاجئين في العالم، وتزايد معدلات الانتحار والجريمة، وزواج المثليين، والتحولات الجنسية المفزعة، وأقبية العذاب داخل السجون الديمقراطية، لم يكن كل هذا إلا مؤشرا لانحسار الحضارة الغربية وصعود للدين كقوة ثقافية رائدة عليها أن تقود البشرية وتعيدها إلى مسارها الفطري الصحيح، وهذا الدين ليس هو دين يسوع الذي لم يكن إلا تربة خصبة للحضارة الغربية التي قامت على الأشلاء والدماء، ولكنه دين الفطرة، الذي اصطفاه الله لنا، إنها ملة إبراهيم التي تعالت على كل قيم الجاهلية، والتي لم تنبهر أو تركع للتقدم المادي ، ولم تسجد لأصنام العلم الغربي، ولم تخف من إرهاب المصطلح، لم تسم الاحتلال **"استعمارًا"** ولم تقل عن الشذوذ **"مثلية"**، لم يغرر بالمؤمنين بها الأمل الكاذب في تخيل عالم متعاون، أو توافق إنساني عالمي، لم يوافقوا على أن يدخلوا في حوار كحوار السيف مع الرقبة، كانوا قدر الله النافذ على هذه الأرض، أو كأنهم رد الله على ملائكته **"إني أعلم مالا تعلمون"**.

ربما يصلح كل هذا لتوضيح الهدف الأساسي والرغبة العارمة عند الغرب الديمقراطي في تدجين الإسلام ومسخه إلى "**إسلام ديمقراطي مدني**" متوافق مع السلام العالمي الزائف، محب للخير الغربي، ومتصالح مع قيم وقواعد النظام العالمي.. لكن الأمر لا يزال في حاجة إلى بعض التوضيح.

تفاصيل تخص تاريخ الغرب في التعامل مع أي حضارة مصادمة لحضارته، أو غير مكترثة بها، تفاصيل تطرح السؤال عن الـ "**هم**" والـ "**نحن**".

الصابون والتعليم .. أن تبدأ القصة من " ثانيًا"

وقفت بجانب وزير الحرب وقلت له إن عليه أن يجمع كل الهنود في مكان مناسب ويذبحهم مرة وإلى الأبد. وقلت له إذا لم توافق على هذه الخطة فإن الصابون والتعليم هما البديل الناجع. فالصابون والتعليم أنجع من المذبحة البشرية، وأدوم وأعظم فتكًا .. إن الهنود قد يتعافون من مجزرة أو شبه مجزرة، لكنك حين تعلم الهندي وتغسله فإنك تقضي عليه تمامًا، عاجلًا أم آجلًا. الصابون والتعليم سينسفان كيانه، ويدمران قواعده ووجوده.

مارك توين 1876

قبل الحديث عن الإسلام بشكل خاص، وعن رغبة الغرب العارمة في دمقرطة أصوله، ومسخ قيمه، علينا أن ننظر إلى جزء بسيط من الصورة العامة للغرب في التعامل مع كل ما هو مختلف.

والحديث عن المجازر التي قامت بها الحضارة الغربية هو حديث مبتذل ومكرر والجميع يعرفه، والحق أن ثمة مجازر أخرى خلف هذه المجازر الدموية، مذابح جماعية لكنها داخل إطار المثال، داخل الأفكار والعقول، إنها تقنية الصابون والتعليم، الصابون الذي ينظف عقلك غير الغربي من حضارتك وثقافتك وقيمك العليا، والتعليم الذي يزرع فيك تقديس الغزاة. إن هذه التعرية الثقافية هي سنة الغرب الديمقراطي في مسخ أعداءه، وتحويلهم لقذارة أحط من كل القاذورات.. وحثالات دميمة تدب مع الهوام والحشرات على حد تعبير المؤرخ جيمس راولس.

وقد ذكر منير العكش في مجموعته **"الإبادات"** أنه في سياق هذه الجراحة الدماغية للهنود، كان الأطفال يحقنون باحترام الدولة الأمريكية، وعلمها، في مدارس الهنود الداخلية ورموزها، حتى استطاع المحتل الغربي أن يزرع داخلهم فكرة الخوف من الذات، أو كراهية الذات، وقد توارثت الأجيال الهندية هذا الأمر إلى مدى طويل جدًا حتى تجذرت، وحتى أصبح الهندي يرى في هويته **"كابوسًا عليه أن يتخلص منه، ويرى في أفعال الغزاة"** القدر المتجلي الذي قضى بزحف الحضارة فوق كل أرض، وهنا يتعلم الهندي كيف يبدأ القصة من ثانيًا، كيف يحكي أن سهام أجداده هي المجرمة، وأن مدافع وبنادق الغزاة كانت يسوع المخلص الذي خلصهم من ذواتهم الحقيرة، كيف يمجد جورج واشنطن السفاح، ويحقر من زعيم قبيلته الذي رفض تسليم القرية إلا بعد أن فُصلت رأسه عن جسده.. إن هذا ما تعلمه الهندي، وهذا ما يعلمه الغرب للعالم، كيف يكون مسخًا غربيًا مسالما..

نشرت مجلة "Atlantic monthly" مقالًا بعنوان "كيف يمكن للهمج الأمريكيين أن يتحضروا" ذكرت فيه أن الهدف الأساسي من تعليم الهنود هو أن ينظروا لأنفسهم بمشاعر الاشمئزاز، وأن يتعاملوا مع تاريخهم وأصلهم الهندي معاملة العار، وأن يمجدوا قدر الإله الأبيض الذي أرسل إليهم الرجل الأبيض ليطهرهم من أنفسهم .

على القارئ هنا أن يدرك، أن الحديث المتكرر عن النموذج الهندي، لا يعني أن جرائم الرجل الأبيض لم تكن إلا مرحلة تاريخية لم تتكرر. إن التطهير الثقافي الغربي لم يتوقف إلى وقتنا هذا، بل تم استنساخه وتنفيذه بأشكال مختلفة في كل بيئة، وفي كل مجتمع بشكل مختلف..

فهذا اللورد كرومر يكرر نفس مقولة مارك توين عن مصر: هل تتصورون أنني أضيق عليكم؟! ولكنكم تخطفون الأطفال من الشوارع، وتخطفون الرجال لتنصيرهم؛ فتستفزون المسلمين فيزدادوا تمسكًا بدينهم. ولكنني اتفقت مع شاب تخرج قريبًا في كلية اللاهوت (Trinity College) بلندن ليضع سياسة تعليمية ستحقق جميع أهدافكم.

وقد ربط العكش بين هذا وبين ما قاله المذيع ميشال سفاج فيما يخص الغالبية العظمى للأمريكان أنها تتمنى أن ترى قنبلة نووية تلقى فوق عاصمة عربية كبرى. وأن الغطاء الملوث بجراثيم الجدري الذي أعطى لهنود الشيروكي أثناء "**مسيرة الدموع**" المأساوية، يعتبر شيئًا تافهًا قياسًا بما يتمنى هو أن يفعل بهؤلاء الناس ، وأن ما قالته كوندليزا رايس حول ضرورة إعادة النظر في مناهج التدريس الإسلامية، واستئصال جذور العداء من كتب التراث، وفرض رقابة على المساجد العراقية، وتغيير العقل العربي .. إلخ، كل هذا ما هو إلى امتداد لـ ما قاله توين، وكرومر، وكل أبناء الـ "**الإله الإنجليزي الأبيض**" على حد تعبير أوليفر كروميل.

صدام الحضارات .. غرب واحد

وعدة مسوخ

في عام 1993 صك صامويل هتنجتون مصطلحًا جديدًا أثار الجدل في العالم الغربي : "**صدام الحضارات**" وكان ذلك من خلال مقال نشرته فصلية "**foreign affairs**" ، ثم حوَله هتجنتون إلى كتاب حاول فيه أن يضع نموذجًا جديدًا يمكن من خلاله تفسير التطورات السياسية الكونية بعد الحرب الباردة، ويتفادى فيه أخطاء النماذج الأخرى التي تبنتها السياسة العالمية والتي حددها بـ 4 أطروحات:

1- **عالم واحد: الشعور بالبهجة والتوافق**

2- **عالمان : نحن وهم**

3- **صراع الدول القومية**

4- **الفوضى العارمة**

وحسب ما يرى هتنجتون فإن نموذجه "**صدام الحضارات**"، هو النموذج الأمثل الذي يعبر عن التحالفات السياسية التي حدثت وتحدث، ولم يكن لها تفسير مقنع. فالعالم ما بعد انهيار العملاق الشيوعي، لم تعد تفرقه الأيديولوجيا، ولا السياسة، ولا الاقتصاد.. وإنما تميزه الفروق الثقافية، التي منها تحاول الشعوب أن تجيب عن السؤال المهم "**من نحن**" بـ البحث عن "**نحن ضد من؟**".

إن أهمية هذا المصطلح في حديثنا عن رغبة الغرب في مسخ الإسلام وعلمنته، وتفريغ عوامل القوة فيه، نقول إن أهمية هذا المصطلح تكمن في تفسير طبيعة الصراع العالمي، التي ستأخذنا بالتأكيد فيما بعد لتوضيح موقف الإسلام

من الحضارات الأخرى، الذي يجبرها على التحرك لإبطال فعاليته بهذا الشكل المفزع الذي نراه.

إن الحقيقة التي نعيشها الآن، هي أن الصراعات الثقافية ستزداد، وأنها كما قال الكاتب التشيلي فاكلاف هافيل أصبحت أخطر مما كانت عليه في أي وقت سابق في التاريخ. فالجماعات التي كانت فيما قبل تفصلها الأيديولوجيا، تجمع بينها العوالم الحضارية والثقافية المشتركة.

ولأن التاريخ الإنساني هو تاريخ الحضارات، ولأن الحضارة هي الكيان الثقافي الأوسع الذي نعرف من خلاله "**نحن الكبرى**" في مقابل "**هم**" عند الآخرين، ولأن كل حضارة تسعى لأن تضع نفسها في مركز العالم، وترى أن تاريخها هو الدراما الرئيسية في التاريخ الإنساني كما يقول هتجنتون، فإن كل صراع دموي كان أو فكري يهدف إلى انتزاع أعظم غنائم الحروب "**التاريخ**"، إن المنتصر لا يهتم كثيراً بكتابة تاريخ حضارته المنتصرة، ولكنه يهتم بتغيير تاريخ المهزوم، إنه يريد أن يتأكد أن عدوه مات إلى الأبد، وذلك ينطبق على الغرب أكثر مما هو على أي ثقافة أخرى .

إن الغرب يريد استنساخ حضارته في كل مكان، إنه يخشى من انتشار الوعي الذاتي لدى شعوب الحضارات المهزومة، ولذلك صك ما يسمى بـ "الحضارة العالمية" وهو إنتاج مميز للحضارة الغربية كما يرى هتنجتون. إن فكرة "**عبء الرجل الأبيض**" ظلت طوال القرن التاسع عشر هي الفكرة التي تبرر سيطرة الحضارة الغربية السياسية والاقتصادية على الحضارات الأخرى، أما الآن فإن فكرة الحضارة العالمية هي التي تبرر بمزاعم واهية رغبة الغرب في إعادة هيكلة الحضارات الأخرى والسيطرة عليها، إن "**العالمية**" هي أيديولوجيا الغرب لمواجهة الثقافات غير الغربية، إنه اعتقاد الغرب أن انهيار الشيوعية لا يعني سوى أن تصبح المركزية للديمقراطية الليبرالية. وهذا ما أخبرهم به

هتنحتون، أن من فرط الثقة الزائد أن نتصور أن الغرب قد كسب العالم طوال الزمن لأن الشيوعية السوفيتية قد انهارت مثلا، أو لأن المسلمين والصينيين سيهرعون لاعتناق الليبرالية الغربية، إن الواقع أن هناك تضخما في الوعي الذاتي والحضاري الغير غربي، وأن الجميع الآن يهرع إلى المقدس، وأن محمدًا على المدى الطويل .. سينتصر.

إذًا، ما هي تجليات هذا المصطلح: "**الحضارة العالمية**"سنحاول سريعًا أن نعرض بعض تجليات هذا المنتج الغربي، مع العلم أننا لم نحصرها كلها:

أ- ثقافة دافوس :

ويشير هذا المصطلح إلى المنتدى الاقتصادي العالمي **world economic forum** في دافوس، بسويسرا، وهو مصطلح آخر صكه هتنتجتون.. إن هذا المؤتمر يتكون من حوالي ألف من رجال الأعمال والبنوك وممثلي الحكومات والمثقفين من عشرات البلدان، وكلهم تقريبًا يحملون الدرجات العلمية في العلوم الطبيعة والإدارية.. إلخ، يتحدثون الإنجليزية بدرجة معقولة، ويعملون لدى هيئات دولية واسعة، ويشتركون في نفس الأفكار الديمقراطية، والفردانية، واقتصاد السوق.. الخ من منتجات الغرب.

يرى هتنجتون أن ناس دافوس هؤلاء يتحكمون فعلًا في كل المؤسسات الدولية، ويقودون المجتمع العالمي نحو حضارة واحدة لا غير وهي الحضارة الغربية، إنهم يتحكمون في مقدرات العالم الاقتصادية والعسكرية.. لكن السؤال الذي يطرحه هنا "**كم من الناس يشترك في هذه الثقافة حتى تفرض على الجميع؟**" الإجابة1%.. أو أقل، خمسين مليون شخص غير غربي أي أن الزعم بأنها حضارة تمثل كل الحضارات هو زعم عبثي لأقصى درجة. إنها ثقافة نخبوية فُرضت على العالم لأن هؤلاء وإن كانوا لا يمثلون بالضرورة

حكومات عالمية، يتحكمون في مصادر القوة التي تفرض ثقافة أخلاقية عامة على غير الغربيين..

إن انتشار أنماط المعيشة والاستهلاك الغربي لا يؤدي بالضرورة إلى تغريب الحضارات الأخرى، لكنه أحيانًا يهيئ الأمر بشكل أولي لتقبل منظومة الغرب الثقافية.

ففي القرون الماضية، اجتاحت المنتجات الغربية العالم، وكانت تعكس بشكل واضح مدى قوة الحضارة الغربية الحالية، لكن الحقيقة عند هتنجتون، أنه رغم هذه القوة أيضًا فإننا لو قصرنا قوة الثقافة الغربية بانتشار منتجاتها، سنجعل منها حضارة تافهة، إن قوتها الحقيقية في **"الماجنا كارتا"** وليست في **"الماجنا ماك"**، وهذا تعبير ساخر.. الماجنا كارتا هي ال : ميثاق الأعظم الذي صدر 1215 م والتي كانت تكرس للديمقراطية وتحد من حكم الملك، وال : ماجنا ماك، هو سندوتش كبير في محلات ماكدونالدز .. والمقصود هنا أن قوة الحضارة الغربية لم تكن إلا في منظوماتها القيمية المتحررة، وليست في منتجاتها المتمثلة في ماكدونالدز ..

"في مكان ما بالشرق الأوسط، قد تجد حفنة من الشباب الذين يرتدون الجينز ويشربون الكوكاكولا، ويستمعون إلى موسيقى الراب، وبين نوبات ركوعهم تجاه مكة، يقومون بزرع قنبلة لتفجير طائرة ركاب أمريكية ..".

ب- لغة عالمية

وبالطبع ما دام الغرب يتحدث عن **"حضارة عالمية"** تغسل الحضارات الأخرى بالصابون، وتحولها إلى نسخ مكررة ممسوخة عبر التعليم، فإن

الحديث عن اللغة العالمية طبيعي وبديهي، فاللغة والدين هما العنصران الرئيسيان في أي حضارة ..

يذكر الدكتور علي فريد في مقالة له عن اللغة **"لا تبصق في وجه ابيك"**، أن الكاتب رسول حمزاتوف التقى رساماً داغستانيا هاجر منذ ثلاثين سنة ولم يعد لبلاده.. لقد شعر معه ببعض الدفء الذي يشعر به أبناء البلد الواحد في الغربة.. وحين عاد إلى داغستان سأل عن أهله فاكتشف أن أمه لا تزال على قيد الحياة.. لقد فرحت كثيراً حين حدثها عن ابنها.. وفي نهاية الزيارة سألته: هل تحدثتما بالآفارية؟ فأجاب رسول: كلا، لقد تحدثنا بواسطة مترجم، كنتُ أنا أتكلم الروسية وابنك يتكلم الفرنسية.. غَطَّت الأمُ وجهَهَا بطرحتها السوداء كما تفعل النساء حين يسمعن بموت أبنائهن، وبعد صمت حزينٍ قالت: أنت مخطئ يا رسول.. لقد مات ابني منذ زمن بعيد، هذا لم يكن ابني، فابني لم يكن ليستطيع أن ينسى اللغةَ التي علمتهُ إياها أنا أمه الآفارية.

إن هذا الموقف البسيط يعكس لنا مدى أهمية اللغة بالنسبة لأبناء الحضارات المختلفة، إن التحولات في استخدام اللغة، هو انعكاس للتحولات في توزع القوى. بريطانيا وفرنسا أصرتا على استخدام لغتيهما في مستعمراتها، وفي الاتحاد السوفيتي كانت اللغة الروسية هي اللغة المشتركة من براغ حتى هانوي. انهيار القوة السوفيتية صحبه انهيار مواز في استخدام الروسية كلغة ثانية، وهذا ما رصده هتنجتون في كتابه ولخصه.

اللغة يعاد رصفها وبناؤها لكي تتلاءم مع الهويات وخطوط الحضارات، ومع انتشار القوة وتفرقفها تنتشر الجلبة وتختلط الأصوات.

ج- التحديث:

إن التحديث هو المحاجاة الأكثر شيوعًا عند الغرب لنشر النمط الحضاري الغربي، وإنك في الوهلة الأولى تظن أن التحديث يعني المصانع الحديثة، والتصنيع، والقضاء على الأمية، والتوسع الهائل للأدوات المعرفية..إلخ وأن الهدف من التحديث أن تتقرب كل المجتمعات، وأن ينتج ثقافة عامة تحد من الانقسام الحضاري ..

لكن هل هذا هو السبب الحقيقي؟ الإجابة لا قطعا، فالغرب يزعم دائمًا أن عملية التحديث هذه لا بد أن تكون قريبة من نمط واحد، هو النمط الغربي، وأن الحضارة الحديثة لا تعني سوى الحضارة الغربية بمنظومتها القيمية والسلوكية، لا منتجاتها فقط.

الغرب هو الغرب قبل ان يكون حديثًا بوقت طويل، السمات الرئيسية للغرب والتي تميزه عن الحضارات الأخرى، أقدم من تحديث الغرب نفسه.

وهذه السمات هي:

- **التراث الكلاسيكي المتمثل ف الفلسفة اليونانية والعقلانية والقانون الروماني واللاتينية والمسيحية الكاثوليكية والبروتستانتية أي المسيحية الغربية بتطورها التاريخي.**
- **اللغات الأوروبية المتعددة.**
- **العلمانية، أي الفصل بين السلطة الروحية والدنيوية.**
- **حكم القانون: أي مركزية القانون الوضعي.**

- **الهيئات النيابية.**

- **الفردانية.**

وهذه السمات ليست كل سمات الغرب، لكنها السمات التي رصدها هتنجتون بالشكل الذي يخدم فكرة الصدام بين الحضارات. فالغرب لا يريد أن يكون العالم حديثًا في وسائله ولكنه يريده غربيًا في عقله، إنه لا يهمه كثيرًا أن تأخذ منه صناعة الطائرة، أو تطوير المركبات الفضائية، لكنك يجب أن تقتبس منه العقد الاجتماعي، والهيئات الديمقراطية، وتنحية الدين من الحياة، إن مقولة الشاعر آرثر رامبو "**على المرء أن يكون حديثًا بشكل مطلق**" نابعة من صميم الرغبة الغربية في تحويلك إلى مسخ، إلى أن تتماهى مع واقع الحضارة الغربية وسطوتها، وأن لا تشكل خطراً ولو صغيرًا في المستقبل.

بالنسبة للغرب التحديث يتطلب تغريب، والعلم الحدث والتكنولوجيا يتطلبان استيعابا للعمليات الفكرية التي تصاحبهما.

لذا فإن أردت أن تكون حديثًا، عليك أن تكون غربيًا، وأن تعترف بهيمنة الحضارة الغربية وفضلها عليك، عليك أن تركع لأصنامها.

إن هذا الادعاء مثير للضحك عندما ترى مثلًا جماعات إسلامية معادية للغرب، تنادي بالعودة للأصول، وتدعوا لرفض التغريب وإحياء الدين، تستخدم الوسائل الفنية الحديثة، والأدوات التكنولوجية الإعلامية الضخمة في مواجهة الحضارة الغربية.

إن صدمة العالم الغربي من "**الإنتاج الهوليودي**" لإصدارات الدولة الإسلامية المتكررة التي وُجّهت للغرب كانت نابعة من هذا الاعتقاد، إذ أن الحداثة عندهم تعني أن تكون غربيًا، متماهيا مع حضارتهم. ولا يدركون أن

المعادين للتغريب لا يرفضون استخدام التقنيات الحديثة، ولكنهم يرفضون منظومات الغرب المصاحبة لها. إن العودة إلى المحلية والأصول لا تصطدم مع الرغبة في التحديث.

إن الصحوة الدينية للمجتمعات غير الغربية، ليست رفضًا للحداثة، بل هي رفض للحضارة الغربية، وللثقافة العلمانية النسبية المتفسخة المرتبطة بها. إنها رفض لما يطلق عليه التسمم بالغرب، الذي يصيب المجتمعات غير الغربية، إنه استقلال ثقافي عن الغرب، إعلان كله كبرياء يقول "**سنكون حديثين، ولكننا لن نكون أنتم**".

هكذا تستنسخ الحضارة الغربية نفسها في كل حضارة، وهكذا ينتج الصابون عدة مسوخ، ويغتال الغرب التاريخ، ويقطعه ويهيئه للأجيال القادمة بالشكل الذي يناسبه، ويمهد له الطريق لنشر حضارته العفنة على المدى الطويل.

إسلام بلا مخالب.. مذهب الإمام

جون كيري

بعد أن وضحنا بشكل سريع وموجز دور سنة الصابون والتعليم عند الغرب الديمقراطي ، ومحاولته تضمين منظومته القيمية والحضارية في المنتجات الاستهلاكية والعلمية، سنحاول سريعًا أن نطل على إسلام ما بعد صابون الغرب.

في مشهد عبثي بامتياز، خرج وزير الخارجية الأمريكي **"جون كيري"** في أحد أكبر مساجد جيبوتي **"مسجد سلمان"** القريب جدًا من القاعدة العسكرية الأمريكية **"لمونيه"**، وألقى خطبة عن الإسلام الوسطي، وعن سماحة الإسلام، جلس كيري في حلقة تشبه كثيرًا حلقات تحفيظ القرآن، وأمامه المعممين، والمحجبات، وقال أن أمريكا تدعم الإسلام، وتحارب الإسلام المتطرف، ثم تحدث سريعًا عن الأوضاع في اليمن والصومال، ولم ينس طبعًا أن يشكر إسماعيل جيلي، باعتباره حليفًا يعتمد عليه في الحرب ضد الإرهاب..

وفي مشهد أكثر منه عبثية، جاء باراك أوباما في زيارته الشهيرة إلى مصر، وألقى كلمة من جامعة القاهرة، عام 2009، بدأها بـ **"سلام عليكم"** بلغته العربية الركيكة، قائلًا أنه هنا ليرسل رسالة للعالم الإسلامي فحواها أن كونوا مع الإسلام الوسطي الجميل، وابتعدوا عن الإرهاب.

وبعد حادث نيوزلاندا الإرهابي، سمحت رئيسة الوزراء النيوزلاندية بقراءة آيات من القرآن داخلة قاعة البرلمان، وارتدت الحجاب، وتحدثت عن سماحة الإسلام وبعده التام عن العدوانية.

إن عبثية مثل هذه المشاهد لا تكمن فقط في كون الدول التي تتحدث بهذا هي دول تحارب المسلمين، وجيوشها منتشرة في أرض محمد صلى الله عليه وسلم، لكنها تكمن أيضًا في تقبل هذه المواقف من بعض العقول

المنتسبة لهذا الدين وحضارته. إن هذه العقول لم تكون سوى تربة الغرب الخصبة لمسخ العقلية المسلمة، إنها حصان طروادة الذي سمح للغرب أن ينتصر، وهي أداته التي صنعت هذا الدين الجديد **"الإسلام الديمقراطي المدني"**، فكيف فعلوا هذا؟ ولماذا؟ وما عوامل القوة في هذا الدين؟.

"ليس من السهل تغيير دين عالمي كبير، فإذا كانت عملية بناء الأمم أمرًا شاقًا، فإن بناء الأديان هي عملية أكثر خطورة وتعقيدًا بما لا يقاس، فالإسلام ليس كيانًا متجانسًا ولا نظامًا بسيطًا. كثير من القضايا الداخلية قد تشابكت مع الدين، ناهيك عن أن كثيرًا من اللاعبين السياسيين في المنطقة يعمدون لـ " أسلمة" الجدال بشكل يظنون أنه يدعم أهدافهم".

شيريل بينارد – الإسلام الديمقراطي المدني

أصدرت **"مؤسسة راند الأمريكية"** عام 2005 تقريرًا بعنوان **"الإسلام الديمقراطي المدني"** ، وذلك في إطار الجهود الاستشراقية الغربية لدراسة العالم الإسلامي، وجماعاته، ومصادر ثوته بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر. كتب هذا التقرير الباحثة النمساوية المتخصصة في العلوم السياسية **"شيريل بينارد"**، زوجة **"زلماء خليل زادا"** السفير الأمريكي السابق في كل من أفغانستان والعراق. ولا يخفى على الجميع مدى أهمية هذه المؤسسة الاستشراقية بالنسبة لصانع القرار الأمريكي، ومدى أهميتها بالنسبة لأي باحث مسلم يريد أن يرى الأمر بعين عدوه.

في المقدمة تحدثت الكاتبة عن الصراع القائم في العالم الإسلامي، الداخلي والخارجي، لتحديد قيمه وهويته وموقعه من العالم. متنبئة لهذا الصراع بآثار وتكاليف مستقبلية باهظة، وتداعيات اقتصادية واجتماعية وسياسية عالمية يبدو أنها لن تكون سارة بالنسبة للغرب بشكل عام.

من الواضح أن الولايات المتحدة والعالم الصناعي الحديث، بل والمجتمع الدولي برمته، يفضلون جميعًا عالمًا إسلاميًا متناغمًا مع النظام العالمي، ديمقراطي وقابل للنمو الاقتصاد .. وبالمثل يريدون تجنب **"صراع الحضارات"** بكل أشكاله المحتملة، بدءاً من تصاعد الاضطرابات الداخلية، بسبب وجود أقليات مسلمة في الدول الغربية، وصولا إلى تصاعد النزعة الجهادية في العالم الإسلامي.

وهنا تأتي توصيات راند على لسان بينارد، وملخص هذه التوصيات هو تشجيع العناصر الإسلامية المتوائمة والمتواطئة مع السلام العالمي والمجتمع الدولي، والتي تحبذ الديمقراطية والحداثة ضد التيارات الأخرى التي تريد الانفصال عن التيار العالمي المهيمن..

وفي هذا المضمار، حددت بينارد أربعة اتجاهات أساسية سنذكرهم باختصار:

1- الأصوليون: وهم الذين يرفضون تمامًا القيم المصاحبة للتحديث الغربي، كالديمقراطية، والثقافة الغربية المعاصرة، ويتحدثون عن تطبيق كامل للشريعة، ولا مانع لديهم من استخدام التقنيات الحديثة للوصول لهذا الهدف. إن المشكلة الأساسية في هذه الفئة بالنسبة للكاتبة أنها توسعية، ولا تتورع عن العنف، أو نشر الفكرة على أوسع نطاق عالمي ممكن. إن مرجعيتهم ليست الدولة القومية، أو الجماعة العرقية، بل الإسلام.

وفي هذا التيار الأصولي تميز بينارد بين فئتين، الفئة الأولى أطلقت عليها "**الأصولية النصوصية**" والذي يحاول مد جذوره في المؤسسات الدينية مثل الراديكاليين الإيرانيين، والوهابية السعودية أو كابلان تركيا.

أما الفئة الثانية وهي الأكثر خطورة "**الأصولية المتطرفة**" ، وهذه الفئة ليست لها خلفيات علمية "**مؤسسية**" بل تميل دائمًا إلى الاعتماد على الذات والانتقائية في معرفة الإسلام ويضم هذا التيار ما يسمى بالـ "**سلفية الجهادية**" كالقاعدة وطالبان والدولة الإسلامية في العراق والشام سابقًا ..

2- التقليديون: وهؤلاء حسب بينارد يريدون مجتمعًا محافظًا، مع بعض التشكك في قيم الحداثة والتطور، وتميزهم بجماعتين أيضًا : التقليديون المحافظون، والإصلاحيون والفرق بينهما كما تقول كبير وخطير. فالفئة الأولى تعتقد بالتطبيق الحرفي للشريعة تحت سلطة الدولة أو تيسيرها، لكنها لا تحبذ أبدًا اللجوء للعنف، وهذه الفئة تسعى لتوسيع نفوذها في تفاصيل الحياة اليومية حتى في ظل حكومات غير إسلامية، فهي لا تعرف المفاصلة أو المواجهة المباشرة، وتكريس السلوك المحافظ أهم عندهم من ترسيخ القيم التي ينتج عنها هذا السلوك.

والذين عاشوا في الغرب من هذه الفئة، أكثر قابلية للحداثة الغربية من الذين يعيشون في العالم الثالث، ويغلب عليهم جودة التعليم، والآراء العصرية.

أما الإصلاحيون فإنهم يعتقدون – كما ترى بينارد- بوجوب تقديم الإسلام تنازلات في قضية التطبيق الحرفي لتعاليمه، بحجة أن هذا

سيجعل الخطاب الإسلامي مواكبًا للعصر، وجذابًا على مدى الزمن. وهم أكثر الفئات استعدادا لإعادة تفسير النصوص، وهذه الفئة تشمل الإخوان المسلمين، وقد توسعت الآن بعد الأحداث المصرية الأخيرة لتبتلع أغلب الجماعات الإسلامية التي ما زالت تحتفظ بشكلها المؤسسي أو الحزبي.

3- الحداثيون: وقضية هؤلاء أن يصبح العالم الإسلامي جزءًا من الحداثة الغربية التقنية والفكرية، وأن يتم تفريغ الدين من أي محتوى لا يناسب الحداثة العصرية. كما أنهم يؤمنون بتاريخانية الإسلام، وهو ما يعني أن الإسلام الذي تُعبِّد به في أيام النبي لم يعكس حقائق أبدية، بل هو نتاج ملابسات تاريخية كانت تناسب ذلك العصر ولم تعد صالحة الآن.

4- العلمانيون: وهذه الفئة ترى أن الدين أمر شخصي، وأن لا تتدخل الدين في أمور الدولة أو السياسة والعكس أيضًا، بشرط أن تتوافق تلك الممارسات مع القانون الوضعي ومنظومة حقوق الإنسان وأنسب نموذج لهذه الفئة هي الكمالية التركية التي أممت الدين لحساب الدولة.

إن هذا التحديد للفئات الموجودة فيما يسمى بالعالم الإسلامي يساعد جيدًا في تحديد الأساليب والأدوات المناسبة في ترويض هذه الفئات، وفي استخدامها لخدمة مصالح الغرب العلماني. وهذه الفائت التي عرضناها تختلف فيما بينها في القضايا الوجودية الكبرى، والقضايا السياسية أيضًا، إنها تختلف في تعريف الـ "**نحن الكبرى**"، وتختلف أيضًا في الإجابة عن سؤال "**ما الحل**"، وترى بينارد أن السجال الإسلامي المعاصر يتعرض كثيرًا للقضايا التي تخص "**أنماط الحياة**"..

تكمن الفائدة في تقصي آراء التيارات الإسلامية المختلفة في وضوح مواقفها في قضايا العقيدة ونمط الحياة، بحيث يمكن الاعتماد عليها وتحديد هويتها.

ومن ثم تحديد العدو المحتمل، والصديق المحتمل، وبعدها يمكن لمراكز الاستشراق الغربي أن تنصح بدعم هذا ومواجهة ذاك بكل وضوح. إن المراكز البحثية الغربية، والمستشرقين الغربيين لا يتوقفون أبدًا عن البحث وراء الجماعات والأفكار المناهضة للغرب بشكل دقيق للغاية. وبعد أن تناولنا هذا التقرير سننتقل إلى تقرير آخر أكثر خطورة في مواجهة الغرب للمناهضين له.

في **"الإسلام الديمقراطي المدني"**، تفند الباحثة آراء تفصيلية للفئات السابقة، وتحللها بشكل مطول بعض الشيء، مثل آراء حول الديمقراطية وحقوق الإنسان، وتعدد الزوجات، والحدود الجنائية الإسلامية ، والموقف تجاه الأقليات، وملابس المرأة، وضرب الزوجات. كل هذه القضايا تناولتها الكاتبة وشرحت وجهات النظر المختلفة، والاختلافات الجوهرية بين الفئات .

وهنا نرى عميلة إعداد الصابون الغربي، واختيار الحلفاء المناسبين، فبينارد مثلًا ترى أن توظيف العناصر الديمقراطية الكامنة في منظومة **"التقليدين"** العقدية، وتصدير مطبوعاتهم المنتشرة والتي تظهر فيها عقيدة الإسلام بشكل أكثر لطفًا من إسلام الأصوليين، أقول أنها ترى في ذلك حلًا مناسبًا في مواجهة الخطاب الأصولي الجذاب في عيون الشباب، والذي نتج عنه من قبل كوارث سياسية لم تتوقف إلا بمجازر دموية ما زالت عالقة في مخيلات الشعوب.

ولهذا ففي الفصل الأخير من الكتاب، بعنوان **"استراتيجيات مقترحة"**: وصت بينارد بدعم الحداثيين عن طريق نشر أعمالهم وتوزيعها بأسعار مدعومة، ودمج آرائهم في مناهج التعليم الإسلام، والمساعدة بترسيخ قيم الحضارات

الأخرى السابقة للإسلام، بجانب تطوير منظمات المجتمع المدني المدعومة غربيًا.

وفيم يخص الأصوليين، وصت بينارد بدعم التقليدين في مقابل الأصوليين، عن طريق نشر انتقاداتهم للعنف والتطرف الأصولي على نطاق واسع. وتشجيع التعاون بين الحداثيين والتقليدين في أي مناسبة. بجانب تشجيع انتشار التصوف وتقبل المجتمعات له.

هذه بعض توصيات الكاتبة، بدون الخوض في تفاصيلها، وندرك من هنا أن مراكز الاستشراق الغربية تهتم بأدق تفاصيل العالم الإسلامي، في محاولة منها لمعرفة الخطر المحتمل، إنها تفتش في مواقع الانترنت حتى الصغيرة منها، وتفتش في كتيبات الشيوخ حتى المغمورين منهم، إنها تبحث في كتابات الإسلاميين أكثر من المسلمين أنفسهم.

في عام 2006 أصدر مركز مكافحة الإرهاب بأكاديمية **"ويست بوينت"** العسكرية تقريرًا يعد من أخطر التقارير الغربية، بعنوان **"سرقة دفاتر القاعدة - Stealing Al-Qaida's Playbook".**

وقد نشر المهندس أحمد سمير ترجمة لهذا التقرير، وملخصًا للاستراتيجيات التي وصى بها لمواجهة الجهاديين. إن التقرير اعتمد على استراتيجية تحديد نقاط الضعف والقوة، ومن خلالها ذكر أن أفضل الطرق لمواجهة الجهاديين هي أخذ المعلومات من الجهاديين أنفسهم، وقد ذكر أن عند الجهاديين ثغرة على أمريكا أن تستغلها، وهي أنهم ينشرون دفاترهم وخططهم على شبكات النت. وهو ما حدث بالفعل عام 2007 أي بعد التقرير بسنة أو أقل .

التقرير حدد 4 منظرين داخل التيار الجهادي، لدراسة بعض أدبياتهم:

1- **ابو بكر ناجي ودراسة بعض فصول (إدارة التوحش).**

2- **أيمن الظواهري: وكتابه الشهير (فرسان تحت راية النبي).**

3- **أبو قتادة الفلسطيني (بين منهجين).**

4- **أبو مصعب السوري ودراسة بعض أدبياته وأهمها كتابه الخطير (التجربة السورية).**

وجاءت توصيات التقرير مباشرة وصريحة، بضرورة إظهار التيارات الجهادية في مظهر مشوه ومرعب، واستغلال بعض الأحداث في الترويج لهذه الصورة، مثل كلام الظواهري في مقتل الطفلة شيماء. لا يجب أن تتصدر أمريكا هذه الحرب ولكن يمكنها الاستعانة بوكلائها المفضلين في هذه الدول الإسلامية، وضرورة أن تستحضر أمريكا حربها الدعائية ضد السوفييت وتعيد تكرارها مع الإسلاميين.

لكن أخطر ما وصى به التقرير هو دعم الإسلاميين غير الجهاديين، لكن بحذر وبتحري واختيار دقيق للعناصر المدعومة، التي سيتم اعدادها لمواجهة الجهاديين، حتى لا ينقلب السحر على الساحر. ومن الشخصيات التي وصى بها التقرير الداعية السلفي "**ربيع المدخلي**" والذي يدعمه النظام السعودي بقوة، ولقدرته الكبيرة في تشويه خصومه.

إن الحضارة الغربية لم تتوقف أبدًا عن صناعة الصابون، إن قدرها المتجلي المزعوم، ما زال يدفعها بجنون لمسخ الحضارات الأخرى، إنها تحاول أن تتجنب صراع الحضارات بصنع واقع آخر جديد، يبدو فيه الجميع سعداء، ويبدو فيه العالم متوافقًا أكثر من أي وقت مضى. إنها تصنع كل هذا حتى تبني إسلامًا جديدًا على مذهب الإمام جون كيري، إسلام بلا إسلام، ودين مفرغ من

كل مقومات الدين. لكن اندفاعها الجنوني هذا، أعمى أعينها عن نهاية الطريق، إن مخاوفها قد تحققت، وقد انقلب السحر على الساحر، وقادت نفسها بنفسها إلى حتفها. إن سيد قطب لم يكن مخطئا عندما قال أن البشرية اليوم على حافة الهاوية لا بسبب التهديد بالفناء المعلق على رأسها فهذا عرض للمرض وليس هو المرض.. و لكن بسبب إفلاسها في عالم "**القيم**".

الحضارة في ميزان الوحي الإلهي

لم يكن الغرب أحمقًا حين حرك آلاته الإعلامية والبحثية لمسخ الإسلام وتحويله لدين ديمقراطي مدني، إنه يعلم جيداً أن الإسلام لا ينظر للأمور بنظارات التزييف التي يصنعها، وإنما يرتبها وفقًا لما يحقق شرائع الإسلام.

إن الإسلام لم ينظر للحضارة المدنية نظرة الخاضع التابع لها، ولا نظرة المنهزم الذي لا يملك من أمره شيئا، ولكنه نظر إليها كقيمة ذات مرتبة تبعية في الوحي الإلهي وقد بين الدكتور "**إبراهيم السكران**" مواقف الرسل والأنبياء تجاه الحضارات المدنية المبهرة، وأجاب عن تساؤلات مهمة تخص موقف المسلمين المنشود إزاء الحضارة المعاصرة. إن الدكتور السكران يعرف الإبداع المدني بأنه حكم نسبي يكتسب وزنه من حجم المسافة التي يقطعها في لحظة تاريخية ما. والحقيقة أن تعامل الأنبياء مع المنجزات الحضارية والفنون المدنية الموجودة في عصورهم يكشف لنا منهج التعامل الذي جاء به الوحي، ويوضح بقوة نظرة الإسلام الحقيقية للحضارة الغربية التي تهيمن على العالم كله الآن .

لقد بلغت العلوم المدنية والحضارية الحديثة في عهد الرسول وقبيل مبعثه أيضًا درجات عالية من التطور، وضرب السكران أمثلة لهذا التطور مثل قانون الهوية، وقانون التناقض والثالث المرفوع، وتقسيم أشكال السلطة، والهندسة، وأصول الطب، والمسافات الفلكية، وتحديد مواعيد الكسوف، واختراع البوصلة، ومع ذلك فإن الله لما بعث الرسول في جزيرة العرب، لم يبعثه ليقول لهم "**عليكم أن تتجاوزوا جفوة عروبتكم، وتتعلموا من الأمم المتقدمة، ولم يقل لهم أن يقفوا موقف التلميذ أمام علوم المنطق والجبر والفلسفة**" ولم يقل لهم عليكم أن تشاركوا الأسرة الدولية في سعادة الجنس البشري عبر الإبداع المعرفي بل أخبر نبيه عن القيم المنحطة في ميزان الله لكل تلك المدنيات التي عاصرت بعثة النبي، ووصفها القرآن بالضلال بكل ما تضمنته قوتهم من علوم مدنية..

إن هذه الحقيقة توضح لنا معيار الخيرية، ومعيار الحق في الإسلام. إن المنهج الذي ارتضاه الله في التعامل مع المنجزات الحضارية أنها تابعة، أنها وسيلة لتحقيق مراد الله في هذه الأرض. إن القصة البشرية التي بدأت بـ "**قلنا اهبطوا منها جميعًا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**" كان الهدف الحقيقي فيها اتباع الوحي، وهو النور الذي نزله الله على عبده ليخرجنا من الظلمات. لم تكن تلك الظلمات سوى المنظومات القيمية المصاحبة لهذه التجليات المدنية الحديثة.

إن التصور الدائم لدى البشر أن المنتجات الصناعية والحداثية لحضارة ما، يعني بالضرورة قوة المنظومات القيمية المصاحبة لهذه الحضارة، أقول إن هذا التصور هو تصور بديهي، لكنه خاطئ، وأنه ربما تستفحل الحضارة من الناحية المدنية، لكنها في عالم القيم تبقى هشة ضعيفة، حتى تأكل نفسها بنفسها، فتنهار ليتحول مركز قوتها إلى حضارة أخرى حافظت على القيم التي تضمن وجودها .

يقول الدكتور إبراهيم السكران: هناك تناقض جدلي بين معدل المدنية ومعدل الخيرية، فبينما الخط البياني لمنسوب المدنية يتصاعد، فإن الخط البياني لمنسوب الخيرية يتناقص.

ولذلك نجد أن العصر الذي وجد فيه النبي صلى الله عليه وسلم كان خير العصور رغم قلة الامكانيات المادية والحداثية للدولة المسلمة، ولو كان مقياس الخيرية متوقف على المنجز الحضاري فقط لكانت الدولة العباسية بما انتجته من علوم وتقدم أفضل من عهد الرسول أو الصحابة . فالخيرية مرتبطة بالجوهر الإيماني والقيمي لا بالمظهر المادي التابع لها.

وهذه أهم نقاط القوة في الإسلام، إنه ينظر للأمور على حقيقتها، ولا ينبهر بالحضارة الغربية ومنتجاتها، ولا يهتم إلا بما أمر به الوحي، إن مجرد

وجود فكرة مثل هذه في عقول المسلمين تهدد وجود الغرب، وتنذره أنه ربما حقا تنفلت المركزية من ثلجه، لتعود لدفء الشمس في أرض محمد .

مسارات وهمية ..
ومسار واحد صحيح

لم تكن رغبة كيري، وبوش في خلق "**إسلام آخر جديد**" مجرد فكرة في عالم المثال، إنها استراتيجية وعقيدة طويلة الأمد، اعتنقها أجدادهما من قبل، وواجهوا بها حضارة الهنود الحمر إنها عقيدة "**الإله الإنجليزي**" المقدسة.

كما فعلت المدارس الداخلية الهندية في مناهج التاريخ، وطرق التعليم، لخلق الهندي الجديد المحب لأمريكا، والخاضع لهيمنة الرجل الأبيض، فإنها بنفسها أو عبر وكلاءها المحليين فعلت نفس هذا الأمر في التاريخ الإسلامي . إن منهج الغرب في التعامل مع التراث الإسلامي، هو تفريغه من محتواه القيمي، هو إظهاره في شكل دموي، لا تملك أمامه سوى الاشمئزاز والتقزز، وتخيل الحياة البدائية الفارغة من أي فكر أو عقل .

لم يكن الهدف من هذا سوى "**كره الذات**" الذي يساعد الغرب دائمًا في رسم مساراته الوهمية التي تسير فيها الشعوب كالقطيع الذي لا يملك من أمره شيئًا، أن موقف أي أمة من تاريخها هو الذي يحدد توقعات مستقبلها، ولأن الغرب يدرك ذلك دائمًا، فإنه يحاول أن يجفف منابع التاريخ الإسلامي. إن الغرب يعلم جيدًا أن التصور الثقافي لأمة ما يرتكز على تصور التاريخ في المقام الأول، لهذا فإنه أطلق وكلاءه المحليين الحداثيين، ليستخدموا إحدى أهم أدواته في تغيير التاريخ الإسلامي، ألا وهي " الانقطاع".

وأداة الانقطاع هذه استخدمها الحداثيون لتصوير التاريخ الإسلامي بصورة ظلامية علينا أن ننفصل عنها، ومن خلال ذلك شرعوا في توسيع الفجوة بين الماضي والحاضر، وطرحوا العديد من التصورات التي تجعل الحاضر في أذهاننا كأنه ثورة ضد التاريخ، أو كأننا نحاول أن ننفصل عن تاريخنا لأنه يحمل بذور التخلف. إنهم اغتموا التاريخ، وستبقى صفحاته لمدى طويل تمجد "**الصيّاد**" وتلعن الأسود!

وهنا يقول رفيق حبيب: إن فكرة الانقطاع هنا ضمنية، أكثر من كونها علنية. بمعنى أن الانقطاع يحتاج لفهمه تبريرات، تجعل قطع ما هو متصل أمرًا ممكنًا. والحقيقة أن التبرير جاء أولًا على يد المستشرقين، ثم أكمل الدور وكلاؤهم المحليين، فتم إعادة قراءة التاريخ، حتى يبدو كأنه تاريخ أوروبا إلا قليلا، فهو عصور مظلمة إلا قليلا، وإقطاع إلا قليلا.. وهذه الرؤية طرحت الحضارة الإسلامية كأنها حضارة الغرب إلا قليلا، حتى يتسنى من خلال ذلك القفز إلى النقطة الجوهرية، وهي أهمية إكمال حلقات التاريخ حسب قانونه الغربي، فلأن ماضينا هو ماضي الغرب إلا قليلا فعلينا أن نجعل مستقبلنا هو مستقبل الغرب.

إن الغرب يرسم لنا مسارات وهمية عديدة، مسار الصناديق وكوميديا اختيار النواب، ومنها الدروشة والتصوف والزهد الزائف، ومنها أيضًا أفكار المقاومة المغشوشة، وندوات الثقافة الغربية، ودور نشر الحداثيين. ومن أجل صناعة هذه المسارات على وكلاء الغرب أن يحملوا القيم المتوارثة مسؤولية كل كارثة حاضرة تحدث، مسؤولة سفك الدماء، ومسؤولية التخلف المدني.. إلخ، والهدف هنا هو اجبار الوعي الجمعي أن يتقبل حقيقة كونه صاحب تاريخ فاشل، تماما كما أجبروا الهنود على الايمان بأن حضارتهم الراقية هي أحط من حضارة ذلك المحتل الذي لم يستحم يومًا ولم تخبره حضارته كيف ينظف جسده!

حتى يصل الأمر إلى عداء تاريخي وصراع مع الوعي الذاتي والحضاري، يشغل المسلم عن معركته الحقيقية مع الكفر، ومع القيم المنحطة للحضارة الغربية المنتصرة!

ولذلك فإن مواجهة هذه المسارات الوهمية التي يرسمها الغرب، يجب أن يكون بالعودة للمنبع الذي لا يجف، إنها العودة للأصول، للمعاني

الأساسية التي قامت عليها حضارة المسلمين، إنه قبول الذات، في مقابل رفض الآخر "**الكافر**" الذي يصطدم مع قيم الحضارة التي ننتمي إليها، إنها المفاصلة التي تدفعك لتقبل ذاتك الحضارية لدرجة الاستعلاء..

إن قوة الإسلام أنه يضع القيم في بؤرة الصراع، لا يهتم بالقوة المدنية أو المادية للغرب، وإن تاريخ الإسلام يخبرنا بحقيقة تاريخية مهمة أن المؤمنين لم يكونوا في أغلب الوقت أقوى من عدوهم من الناحية المادية، ورغم ذلك كانوا أقوى من الناحية القيمية. إن هذا هو المعنى الحقيقي لما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم للمشركين من قومه،: يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، وتملكوا بها العرب، وتذل لكم العجم..

وهو المعنى الحقيقي لقول الله سبحانه وتعالى "**فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز**" إنه تحذير الله لنبيه من أن يفتتن بمظاهر مادية لا تساوي شيئًا في ميزان الوحي، بل قال له أن ينزه نفسه من التعلق بالماديات، وأن يكون واضحًا في دعوته "**قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك، إن اتبع إلا ما يوحى إلي**".

إن هذه إحدى أهم نقاط القوة في الإسلام، أنه يتجاوز كل هذه المسارات الوهمية، إن الإسلام يدفع صاحبه لرفض الانشغال بالمعارك الوهمية، التي يرسمها له العدو خصيصًا لبعده عن المعركة الأساسية، معركة الحضارات. إن الغرب وإن كان يتحرك من منطلق مكيافيلي بحت، يهدف إلى استمرار بقاء المركزية الغربية، والهيمنة الحضارية، وإن كان أيضًا يستخدم قاعدته المقدسة "**البقاء للأقوى**" ليبرر وجوده، وجرائمه الفكرية والعسكرية، والتاريخية أيضًا، فإنه بطبيعة الحال يحاول أن يُبعد هذه الفكرة من عقول المناهضين له. ولأن الإسلام يزرع في صاحبه الإيمان بأنه الأقوى، وأن معركته مع الحضارة الغربية

المهيمنة هي معركة وجودية في الأساس، لذا فإن الإسلام يرسم لك مسارًا واحدًا وواضحًا وصريحًا، إنه يقول لك **أن لا إله إلا الله** تكفيك لمواجهة هؤلاء، أنها تتضمن قوتك القيمية والسلوكية، وتضمن لك أيضًا التقنيات والتجهيزات المادية التابعة للوحي، إنه يضمن لك أنك تخوض المعركة الصحيحة، وأن تضحياتك في مكانها الصحيح، ..

ربما ندرك بعد كل هذا، لماذا يريد الغرب أن يصدر لنا صابونه التاريخي، ولماذا يريدنا أن نصبح ضد أنفسنا، ولماذا يريد أتباعه أن يقيدونا في فلك لم يكن يومًا قدرنا، إنها معركة العقول والأفكار حقًا، قبل أن تكون معركة الجبهات والجبال ..

نشر معهد هادسون مقالة للباحث مختار عواد، بعنوان السلفية الثورية، جاء فيها:

من الممكن أن يتم تجاهل هذه الآراء الثورية باعتبارها تأملات لشباب إسلامي موهوم، ولكن تاريخ الإسلاميين قد علمنا شيئا واحدا، وهو عدم رفض منظريهم مهما بدوا سخفاء للعقل الرشيد، كما أنه ليس من الحكمة تجاهل هذا التأثير القوي للأفكار الرئيسية التي يعتقدها رجال يسعون خلف أسطورة "**اليوتوبيا**" الإسلامية..

في هذا العصر من التحول والتغيّر المزلزل في الشرق الأوسط، يجب على الغرب أن ينتبه للأفكار الناشئة نتيجة لهذه التغيرات وليس فقط للجماعات التي تسيطر على المشهد.

ستستمر القاعدة وجماعة الدولة الإسلامية في أن يكونا عدوين لدودين بسبب براعتهم العسكرية وثروتهم، لكن الشرق الأوسط سيظل منطقة تحركها الأفكار تماما كما يحركها السلاح والنفط.

الفكرة سخيفة ولكن مرة أخرى الشيء نفسه كان من الممكن أن يقال عن الانتفاضات الجماهيرية التي زلزلت العواصم العربية في 2011 أو عن فكرة أن شراذم من الرجال الموهومين في جبال أفغانستان، يمكن أن يقتلوا قرابة 3000 أمريكي في يوم واحد..

"لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ * لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلأَبْرَارِ".

المحتويات